

اختلف الدافع، لكن التلاقي حتمي. فيما بعد استعدت معاني عديدة كلما مثلَ أمامي، تساؤل. دهشة، رجاء، غموض نبيل وسكينة لا تفارق ملامح الطيور. صافحتُها، اقترحتُ عليها مصاحبتهَا إلى بيتها. هكذا لوحث لجعفر وهي بجوارى. تحدثتُ إليها بسرعة وباقتصاد، هزت رأسها قالت إنها لم تر بنى ملال وسمعت عن وادى زَمّ.

هكذا قصدنا بيتها فعلاً ولكن لنخبر شقيقتها الصغرى أنها ستغيبُ نهارين وليلة. إنهما مقيمتان في مراکش. ظروف دراستهما اضطرتهما إلى ذلك. أما الأبُ والأمُ والأشقاء السبعة الآخرون فمزلهم مدينة تطوان الشمالية.

بدت صامتةً، منزويةً، كأى طائر يتخلف عن السرب ويواجه فراغات لم يعتد سلوكها. كنت أستفسر من السائق عن أماكن غمر بها، ومدن صغيرة نعبرها بسرعة، ثم ألتفتُ فأغدقُ عليها حنوى واهتمامى وأخبئ حيرتى فلم يحدث أن تحقق ما قصدتُ إليه بسرعة كهذه.

تبدو مستسلمةً، منطوية على نفسها أكثر مما هي ساعية إلى، تتطلع إلى الطريق، إلى الأفق الرحب. الأراضي المزروعة بالحشائش الخضراء، بيوت قليلة متناثرة، إلى جبال تقترب منها بسرعة، إلى شوارع مدينة بنى ملال، إلى شلالات مياه هادرة تتدفق عبر